

فقه الأسماء الحسنى

الآثار التعبديّة

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

حفظه الله تعالى

برنامج من إذاعة القرآن الكريم

١١-٠٣-١٤٢٨هـ

تفریغ: محمد عماد نوفل

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

أيها الإخوة المستمعون؛ إن أسماء الله الحسنى وصفاته العليا مقتضية لآثارها من العبودية والأمر اقتضاءها من الخلق والتكوين، وقد مضى في الحلقة الماضية الحديث عن اقتضاءها لآثارها من الخلق والتكوين، والحديث في هذه الحلقة سيكون عن اقتضاءها لآثارها من العبودية؛ كالخضوع، والذل، والخشوع، والإنابة، والخشية، والرغبة، والمحبة، والتوكل، وغير ذلك من أنواع العبادات الظاهرة والباطنة؛ فإن كل اسم من أسماء الله وكل صفة من صفاته له عبودية خاصة هي من مقتضياتها ومن موجبات العلم بها والتحقق لمعرفة، ولهذا مضطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح.

وبيان ذلك -معاشر الإخوة المستمعين- أن العبد إذا علم بتفرد الرب -تعالى- بالضر، والنفع، والعطاء، والمنع، والخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة؛ فإن ذلك يشمر له عبودية التوكل على الله باطناً، ولوازم التوكل وثمراته ظاهراً، قال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْغَزِيِّزِ الرَّحِيمِ (٢١٧)﴾ [الشراء: ٢١٧]، وقال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ

وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩)﴾ [الزمل: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٨١)﴾ [النساء: ٨١].

وإذا علم العبد بأن الله سميع، بصير، عليم، لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات والأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأنه -تبارك وتعالى- أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، فمن عرف نفسه باطلاع الله عليه، ورؤيته له، وإحاطته به؛ فإن ذلك يشمر له حفظ اللسان والجوارح وخطرات القلب عن كل ما لا يرضي الله، وجعل تعلقات هذه الأعضاء لما يحبه الله ويرضاه، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤)﴾ [العلق: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١)﴾ [الحجرات: ١]، وقال تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠)﴾ [فصلت: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

فلا ريب أن هذا العلم يورث عن العبد خشية الله، ومراقبته، والإقبال على طاعته، والبعد عن مناهيه.

قال ابن رجب رحمه الله: "راود رجل امرأة في فلاة ليلاً فأبت، فقال لها: ما يراني إلا الكواكب. فقالت: فأين مكوبها؟! أي: أين الله؟! ألا يرانا؟!".

فمنعها هذا العلم عن اقتراف هذا الذنب، والوقوع في هذه الخطيئة.

وإذا علم العبد بأن الله غني، كريم، بَرٌّ، رحيم، واسع الإحسان، وأن الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مع غناه عن عباده فهو محسن إليهم، رحيم بهم، يريد بهم الخير، ويكشف عنهم الضر، لا لجلب منفعة إليه من العبد، ولا لدفع مضرة؛ بل رحمة منه وإحساناً؛ فهو - سبحانه - لم يخلق خلقه ليتكثر بهم من قلة، ولا ليتعزز بهم من ذلة، ولا ليرزقوه، ولا لينفعوه، ولا ليدفعوا عنه؛ كما قال تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]، وقال تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا (١١١)﴾ [الإسراء: ١١١]، وقال تَعَالَى فيما رواه عنه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يا عبادي، إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ولن تبلغوا ضري فتضرروني))، فإذا علم العبد ذلك؛ أثمر فيه قوة الرجاء، قوة رجائه بالله، وطمعه فيما عنده، وإنزال جميع حوائجه به، وإظهار افتقاره إليه، واحتياجه إليه، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥)﴾ [فاطر: ١٥].

والرجاء يثمر أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفة العبد وعلمه.

وإذا علم العبد بعدل الله، وانتقامه، وغضبه، وسخطه، وعقوبته؛ فإن هذا يثمر له الخشية، والخوف، والحذر، والبعد

عن مساخط الرب؛ قال الله تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦)﴾ [البقرة: ١٩٦]، وقال تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣)﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وقال تَعَالَى: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩)﴾ [البقرة: ٢٠٩].

وإذا علم العبد بجلال الله، وعظمته، وعلوه على خلقه ذاتاً وقهراً وقدرًا؛ فإن هذا يثمر له الخضوع، والاستكانة، والمحبة، وجميع أنواع العبادة؛ قال الله تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٦٢)﴾ [الحج: ٦٢]، وقال تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٤)﴾ [البقرة: ٢٥٥، الشورى: ٤]، وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)﴾ [الزمر: ٦٧].

وإذا علم العبد بكمال الله وجماله؛ أوجب له هذا محبة خاصة، وشوقاً عظيماً إلى لقاء الله، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ولا ريب أن هذا يثمر في العبد أنواعاً كثيرة من العبادة، ولهذا؛ قال تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾ [الكهف: ١١٠].

وهذا - معاشر المستمعين - يُعلم أن العبودية بجميع أنواعها راجعة إلى مقتضيات الأسماء والصفات.

ولهذا؛ فإنه يتأكد على كل عبد مسلم أن يعرف ربه، ويعرف أسمائه وصفاته معرفةً صحيحة سليمة، وأن يعلم ما تضمنته آثارها، وموجبات العلم بها؛ فبهذا يعظم حظ العبد من الخير، ويكمل نصيبه منه.

إن المؤمن الموحد - أيها الإخوة المستمعون - يجد بإيمانه وبقينه بأسماء ربه الحسنی وصفاته العليا الدالة على عظمة الله وكبريائه وتفردّه بالجلال والجمال ما يجذبه إلى اجتماع همه على الله حباً وتذلاً، خشوعاً وانكساراً، رغباً ورهباً، رجاء وطمعاً، وتوافر همته في طلب رضاه، باستفراغ الوسع بالتقرب إليه بالنوافل بعد تكميل الفرائض.

والتوفيق والرشد بيد الله، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا حول ولا قوة إلا به عز وجل. ولهذا نصل إلى نهاية هذه الحلقة، وإلى لقاء آخر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

